



## الفكر الرهينة

لقد حدث في لبنان ما كنا نخشى حدوثه بعد أن خطف الخطاب الأيديولوجي الفكر اللبناني الحرّ، وأخضعه لقواعد التدجين، حتى أصبح يقبل بما يُفرض عليه دون اعتراض، ويتبناه باسم الواقعية هرباً من الالتزام بقواعد المنطق ومبادئ الحق والعدالة والجمال. ومع مرور الوقت خسر حسنه النقي، فصار ببغائي المنهج، يكرر ما يسمع ويطور سلوكاً أقرب إلى ردود فعل الآلة المبرمجـة منه إلى سلوك الإنسان المبني على الاختيار الإرادـي. إن هذه العوائق التي أصابـت الفكر، لم يكن حصولها ممكـناً، لو لا الخضـوع المطلق لمشـيـة الاحتـلال وإـرـهـابـه الذي فرض الرقـابة على مختلف القطاعـات الفـكريـة المنتـجـة والنـاشـرـة، وأـكـملـهـ الطـوقـ بـحـظـ دـخـولـ الكـتـبـ والمـشـورـاتـ التي تـتعـارـضـ معـ الأـيـديـولـوجـيـةـ السـورـيـةـ السـتـالـينـيـةـ. وبـهـذـهـ الطـرـيقـ ضـمـ لـبنـانـ إـلـىـ قـافـلـةـ نـادـيـ الـدـرـجـةـ الثـانـيـةـ للـدـوـلـ الـمـتـخـلـفـةـ فـكـرـياـ وـسـيـاسـيـاـ وـحـقـوقـيـاـ وـإـنسـانـيـاـ. أـقـولـ مـنـ الـدـرـجـةـ الثـانـيـةـ، لأنـ لـبنـانـ لـيـسـ فـقـطـ مـتـخـلـفـاـ بلـ أـصـبـحـ جـرـماـ فيـ فـلـكـ دـوـلـةـ مـتـخـلـفـةـ.

ومن الطبيعي أن يفرض الخطاب السياسي، كلمـاتـ وـشعـارـاتـ تعـبـرـ عنـ الـلتـزـامـ بـالـفـكـرـ الوـاحـدـ، وـتـعـتـبرـ مـقـيـاسـاـ لـلـانـصـيـاعـ لـمـشـيـةـ الـمـوـجـهـ، بـصـرـفـ النـظـرـ عنـ صـحـةـ التـعـبـيرـ وـالـنـتـائـجـ السـيـئـةـ المـتـرـتـبةـ عـلـىـ التـضـالـيلـ الـحـاـصـلـ وـالـفـوـضـيـ الـفـكـرـيـ الـمـتـلـازـمـةـ معـهـ. وـهـكـذـاـ يـفـقـدـ الـمـجـتمـعـ تـدـريـجيـاـ قـدرـتـهـ عـلـىـ الـمـقاـومـةـ، وـيـنـطـلـقـ فـيـ مـسـارـ اـنـهـارـيـ، فـيـنـتـقـلـ مـنـ مـرـحـلـةـ الرـفـضـ الـمـطـلـقـ لـلـحـالـةـ الشـاذـةـ إـلـىـ مـرـحـلـةـ النـقـدـ الـخـجـولـ، ثـمـ إـلـىـ الـقـبـولـ، فـالـصـمـتـ وـالـخـضـوعـ. وـعـنـ بـلـوغـ هـذـاـ الـوـضـعـ حـدـهـ الـأـدـنـىـ، يـدـخـلـ إـلـىـ حـالـةـ الـعـبـودـيـةـ بـفـقـدـانـهـ شـجـاعـةـ الـإـسـغـاءـ إـلـىـ مـاـ يـنـقـضـ هـذـاـ الـوـضـعـ، لـاـ بـلـ إـنـهـ يـتـطـوـعـ أـحـيـاـنـاـ لـلـدـافـعـ عـنـ مـغـلـفـاـ جـبـنـهـ أوـ مـصـلـحـتـهـ بـقـنـاعـةـ وـهـمـيـةـ. وـلـرـبـماـ يـعـودـ ذـلـكـ أـيـضاـ إـلـىـ الـخـوفـ مـنـ الـمـسـؤـلـيـةـ الـمـتـلـازـمـةـ معـ الـحـرـيـةـ.

لـذـكـ نـرـفـضـ رـفـضـاـ قـاطـعاـ الـخـطـابـ الـإـيـديـولـوجـيـ، وـنـؤـكـدـ لـجـمـيعـ الـلـبـانـيـنـ، بـأـنـاـ سـنـمـارـسـ حـقـتاـ الـمـطـلـقـ بـالـتـعـبـيرـ، بـالـطـرـيقـ الـتـيـ نـشـاءـ وـبـالـتـعـبـيرـ الـتـيـ نـشـاءـ، عـنـدـمـاـ نـدـلـيـ بـرـأـيـاـنـاـ حـولـ أـيـ مـوـضـعـ كـانـ...ـ وـنـرـفـضـ أـيـ تـعـبـيرـ مـفـروـضـ وـأـيـ مـعـتـقـدـ مـسـبـقـ، وـأـيـ شـكـلـ مـنـ أـشـكـالـ الـهـيـمـنـةـ مـنـ أـيـ جـهـةـ أـتـيـ، وـنـدـعـوـ الـجـمـيعـ إـلـىـ التـصـرـفـ بـالـمـثـلـ عـنـدـمـاـ يـبـدـوـنـ رـأـيـهـمـ، عـلـىـ أـنـ نـلـتـزـمـ جـمـيـعاـ بـالـدـافـعـ عـنـ اـسـتـقـالـ وـسـيـادـةـ وـحـرـيـةـ الـشـعـبـ الـلـبـانـيـ وـالـمـحـافـظـةـ عـلـىـ سـلـامـةـ الـأـرـضـ وـوـحدـةـ الـشـعـبـ وـمـسـاـعـدـةـ الـمـؤـسـسـاتـ لـلـقـيـامـ بـمـهـمـاتـهـاـ.

كـماـ نـتـوجـهـ، وـبـكـلـ مـحـبـةـ، إـلـىـ أـشـقـائـنـاـ الـعـربـ بـصـورـةـ عـامـةـ، وـالـىـ إـخـوانـنـاـ الـسـورـيـنـ بـصـورـةـ خـاصـةـ، وـنـقـولـ لـهـمـ بـأـلـاـ يـطـلـبـواـ مـنـاـ مـاـ لـاـ يـلـتـزـمـ بـهـ مـلـوـكـهـمـ وـرـؤـسـاؤـهـمـ سـوـاءـ كـانـ ذـلـكـ بـالـتـعـبـيرـ أوـ بـالـمـوـقـفـ.

فـقـلـيلـ مـنـ الـحـشـمـةـ لـدـىـ الـبـعـضـ، وـقـلـيلـ مـنـ الـشـجـاعـةـ لـدـىـ الـبـعـضـ الـآـخـرـ، هوـ لـمـصـلـحـةـ الـجـمـيعـ.